دور مؤسسات التعليم العالي في التدريب والبحوث

في مجال الدراسات الإسلامية

الأستاذ الدكتور
حسن الشيخ الفاتح الشيخ قريب الله
رئيس جامعة أم درمان الإسلامية (سابقاً)
رئيس قسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية
عميد كلية الشريعة والعلوم الاجتماعية (سابقاً)

المكتبة الثقافية
بيروت

دور مؤسسات التعليم العالي
في التدريب والبحوث
في مجال الدراسات الإسلامية

الطبعة الاولى
١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

الفاتحة

هـذا بحث تنـاولت فيـه المفهوم الحقيقيّ ثم العـرفي للدراسات الإسلامية، وقد أوضحتُ فيه أن الإسلام باعتباره نظاماً شاملاً لكل شـؤون الحيـاة، كان قد جعـل كلّ العلوم الإنسانية فـرض كفايـة، غير أن البعض أخيـراً جعل للـدين علوما وللدنيا أخرى، ثم عاد فجرَّد ما تبقى من علوم الدين ممـا كان لهـا من روح وما أريـد لها من عمل، فصارت تبعـاً لذلك دراساتٍ أكاديميةً نظريةً.

وتناولتُ كذلـك تحديـد مفهوم التـدريب والبحث في مجـال الدراسـات الإسلاميـة، العرفيـة خاصـة، والإنسانيـة عـامة، وقـد صنّفت تبعاً لـذلك العلوم الإسـلامية من حيث التدريبُ إلى قسمين: نظري بحت، وعملي.

ثم فصَّلت القول في الدور الذي يُنتظر من مؤسسـات التعليم العـالي في التـدريب والبحـوث من حيث اختيـار

الأستاذِ وتأهيلُه داخلياً وخارجياً، وتوفير ما يحتاج إليه من كتب ووسائِل اطلاع ونشر، ومناخ علمي وديني، يمكنه من أداء مهمته.

وتحدثت عن المناهج الحالية وبعدها عن الفكر الإسلامي واقترحت تعديلاً لها يُناسب حاجة البلاد، ووضعت تصوراً يعين الدولة على سد حاجاتها من القوى العاملة في شتى مجالات الحياة، وأبنْتُ كذلك أهمية الجانب الروحي والعلمي والإنساني والصِّحي والإداري.

والله ولي التوفيق

حسن الفاتح الشيخ قريب الله

رئيس جامعة أم درمان الإسلامية...

الباب الأول

مفهوم الدراسات الاسلامية

(أ) المفهوم الحقيقي للدراسات الإسلامية

الإسلام كما هو معلوم ـ منهجٌ شامل متكامل للحياة ينظم شؤونها العملية والعلمية والسلوكية، وهو يتولى الفرد تربية وتدرباً وسلوكاً من حيث كان نطفة إلى أن يلقى الله في دار البقاء حيث الجزاء المناسب، لا على العمل بل بالفضل أو العدل، ﴿**وما لأحد عنده من نعمة تجزى * إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى**[1]﴾.

والإسلام الذي حث على التعليم في أول آية انزلها ـ هو الإسلام الذي ربط التعليم بالتقوى، حيث قال (واتقوا الله ـ ويعلمكم الله)... ووصل بين الرفاهية التي ينشدها الفرد وبين ذكره تعالى فقال ﴿**ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً، ونحشره يوم القيامة أعمى**﴾[2]... ووعد

(١) سورة الليل الآيتان ١٩ و٢٠.

(٢) سورة طه الآية ١٢٤.

بتذليل كل عقبة يقابلها الفرد في علم أو تدريب أو غيره إذا ما التزم الفرد بمراعاة الخالق وتقواه وتأسّى بالرسول ﷺ وأطاعه واحبّه ،وعن كل ذلك يقول المولى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يجعَلْ له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾[١]. ويقول: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوةٌ حسنة﴾[٢]، ويقول: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾[٣]، ويقول: ﴿قُلْ إن كنتم تحبُّون الله فاتبعوني يحببكُمُ الله﴾[٤]، ويقول: ﴿قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربَّصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾[٥].

والإسلام بالإضافة إلى ما تقدم هو دين التربيةِ العملية الذي يجعل مهمة الإشراف على كل عملٍ تدريبي يقوم به الإنسان هو للمولى أولاً، ثم للرسول ثانياً، ثم لبقية الناس ثالثاً، حيث يقول الله تعالى ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾[٦]. . .

---

(١) سورة الطلاق الآية ٣.
(٢) سورة الأحزاب الآية ٢١.
(٣) سورة النساء الآية ٨٠.
(٤) سورة آل عمران الآية ٣١.
(٥) سورة التوبة الآية ٢٤.
(٦) سورة التوبة الآية ١٠٥.

الإسلام بهذا المفهوم هو البوتقة العامة لا لعمل الأفراد مجتمعين وإنما لعمل كل فرد على حدة، إذ يقول تعالى: ﴿لقد أحصاهم وعدّهم عدّاً وكلهم آتيه يوم القيامة فردا﴾[1]. ومن ثم أجمع العلماء على أن تعلّم كل علم نظري أو عملي فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقين، بل لقد رتّبوا العلوم جمعاء حسب أهميتها وفق معيار دقيق، وميزان جساس، يستطيع به الناس في كل عصر أن يميّزوا به بين ما هم في حاجة ماسّة إليه، وبين ما يمكن استغناؤهم عنه ولو مؤقتاً، وقد بلغ من عدلهم وإنصافهم ومساواتهم في العلوم أن حَكَموا على أهمية كل علم منها وفق النفع الذي يُنتظر منه...

فما كان أكثر نفعاً، وأدوم زمناً، هو الذي يتولى الصدارة، وكمثال على ذلك قالوا إنْ كان علم الطب إنما يُنتفع به علمياً لا وقائياً، في فترات الأمراض خاصة فإنَّ علم الفقه إنما ينتفع به علمياً في فترات الصحة والمرض، وفي الحياة العاجلة والآجلة، ومن ثم كان من الطبيعي أن يمنحوه هو وعلمَ العقيدة الصدارة، وقد جاء عن الأخير قولهم:

أول واجب على من كُلّفا ... ممكَّناً من نظرٍ أن يعرفا
الله والرسل بالصفات ... مما عليه نصب الآيات

(١) سورة مريم الآيتان ٩٤ و٩٥.

ذلك هو المفهوم الحقيقي للدراسات الإسلامية، وقد بنى عليه العلماء فتواهم بتحريم موقف من يَقُحُّ في نظر الناس علماً لا لشيء إلاّ لأنه يجهله، أو يقع خارج دائرة معرفته وإدراكه. وحصر بعضهم المعرفة على اختلاف أنواعها في أمرين، حيث قال: العلم علمان: علم الأديان، وعلم الأبدان، وكلاهما علوم إسلامية.

على أنّه قد مرَّ على الناس حينٌ من الدهر أخرجوا منه، عن نطاق العلوم الإسلامية كثيراً من المواد، كالطب بأنواعه، والهندسة، والزراعة، والبيطرة، والعلوم، والفلك، والاقتصاد، والفن، وغيرها وها هم أولاء بأنفسهم وبعد أن اكتمل وعيهم الإسلامي يشهدون مولد الكليات والشعب الإسلامية لكثير من المواد التي ظنوا أن بينها وبين الإسلام ردْماً لا يستطيعون أن يَظْهَروه ولا يستطيعون له نقباً، ولكنها رحمة الله وقد غشيت الأمة الإسلامية في عهد صحوتها، وجعلت الردْمَ دكًّا وكشفت عن العلماء غطاءهم فإذا بهم يلحقون بالركب الإسلامي، ويتصدر بعضهم بتقواهُ وعلمِه ركبَ من سبقوه فيه محققاً بذلك قوله تعالى **﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾**[1].

---

(١) سورة الحجرات الآية ١٣.

هـذا وأنـا إذ اكتب الآن عن مفهـوم الـدراسـات الإسلامية لن أتعدى في بحثي هذا دائـرة الحَجْر العلمي أو الحبس العـرفي الذي كتب على الـدراسات الإسـلاميـة أن تَتَـروَّى فيه حتى يقيض الله لهـا من يحررُهـا منه ويفتـح لها المجال لتنتظم كغيرها في الميدان الفسيح للحياة.

(ب) المفهوم العرفي للدراسات الإسلامية

ينحصر المفهوم العرفي المؤقت للدراسات الإسلامية في دائـرة مواد بعينهـا، يدور معـظمها حـول ما يحتـاج إليـه الناس في المفهوم الضيّق لمعرفتهم بالله وعباداتهم له وفيمـا يعرف بالأحـوال الشخصية، ويبنـون على ذلك مـوقفهم من أمر التدريب وأماكنه، فهنـاك من ينكر صلة التـدريب بالعلوم الإسلامية، وهناك من يجعل الزوايا لـه مكانـاً، والسبحة لـه أداة، وقـد يشترط بعضهم لإكمـال مظهـر التـدريب وربـطه بالبيئة لبْس الزي القومي له، من جلابية وعمة وغيرها. لقـد أماتوا بهذا المفهوم دين الله، واشتركوا مع غيرهم في البكاء عليـه، ونتحـوا أخيـراً عن الدين ومؤسسـاته وأعـلامه، فلم يعـودوا يتذكـرون الـدين إلا حيث يستمعـون إلى خـطبـة أو موعظة أو يرون شيخاً تقياً، أو رجلاً عالماً.

(جـ) التحديد العرفي للمواد الإسلامية

تكاد المواد المذكورة أدناه ـ تكون هي الممثِّل الشرعي للمواد الإسلامية في عصرنا الحاضر أعني:

١ ـ القرآنَ وعلمَه.

٢ ـ التفسير.

٣ ـ الحديثَ وعلومَه.

٤ ـ الفقهَ، وما يتصل به من أصول وتأريخ تشريع، وفقه مقارنٍ، وما إلى ذلك.

٥ ـ العقيدةَ وما يتصل بها، من علم الكلام، والفرق الإسلامية، والملل والنحل.

٦ ـ التصوفَ وما يتصل به من علم الأخلاق والفلسفة.

وقد يُلحق بالمواد أعلاه أو يُحذف منها أحياناً موادُ أخرى مثل:

١ ـ التأريخ الإسلامي، بما في ذلك السيرة النبوية الطاهرة.

٢ ـ الاقتصاد الإسلامي.

٣ ـ الفن الإسلامي.

٤ ـ الأدب الإسلامي.

(د) مفهوم التدريب

لا أخالُ هناك من ينكر أهميةَ التدريب وفائـدتَه، غيـر أنّ الناس قد يختلفـون في مفهوم التـدريب فيُصَنِّف البعضُ أقسامَه بما يتناول التدريب:

١ ـ الفكري.

٢ ـ العملي ويشمل الخُلقَ والسلوك.

٣ ـ الفنِّي ويشمـل كل مـا يكسب المهـارة، والـدقـة واكتساب التجارب سواء أكان ذلك عن الموهبة الذاتيـة، أو المكتسبة والمساعدة من الآلات وما شاكلها، ويصنف آخرون التدريب بجعله قاصراً على الناحية الفنية فقط، ولكنهم مـع ذلـك يعودون فيخـرجون منـه الـدّربـة الفنيـة التي يكتسبهـا المـدرسُ من درسه، والتـاجرُ من عمله، بـل إنهم ليضيِّقون نطاق التدريب أحياناً فيُبعدون عنه كل تدريب لا تكـون الآلة فيه طرفاً، وكأنهم بذلك يقسّمون العلوم إلى:

١ ـ علوم نظرية بحتة.

٢ ـ علوم عملية غير آلية.

٣ ـ علوم عملية آلية.

ويحـار أصحـاب هـذا الاتجـاه في تصنيف العلوم النـظرية التي بـدأ أصحابهـا يستخدمـون الآلة لتـطوير الأداء فيهـا مثل علوم الاقتصـاد، والتجارة، واللغـات بل والقـرآن

الكـريم أيضاً الـذي أُدْخِل هـو والحديث النبـوي في مجال (الكمبيوتر) فجاءت النتائج الأولية فيها مدهشة معجزة.

ويتردد البعض كـذلـك في تصنيف أصحـاب الخِبْـرة الفنية ممن يستخدمون الآت محلية أو غير عصريـة، وغالبـاً ما يطلق على هؤلاء أصحاب الصناعات القومية.

أخلص من كـل مـا تقـدم بـأن مفهـوم التـدريب ليس مـوضع اتفـاق بين العلماء إذ لا يـوجد حـدٌّ فاصـل يميّز بيْن العلوم(١). وبناء عليه فساستخدم لفظ التدريب فيما يلي في كـل ممارسـة عملية، وسـأصنِّف المواد الإسـلامية العـرفيـة السابقة تحت ما هو نظري بحت، وما هو عملي سواء أكـان خالصاً أم مشتركاً، مستخدِماً في ذلك المنهج الإسلامي في المعرفة الذي يخالف في كثير من قضاياه المنهج الأرسـطي حيث أن الأول يتيـح للتجربـة مكانـاً لا تتيحها لـه الحضارة اليونانية التي انتجت المنطق الأرسطي(٢).

---

(١) دكتـور محمد حمـدي النشار: الإدارة الجـامعية، التـطوير والتـوقعات، طبع الجهاز المركزي للكتب الجـامعية والمـدرسية والـوسائـل التعليمية بالقاهرة، سنة ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م. ص ٢٦٢.

(٢) الـدكتور علي سـامي النشار: منـاهـج البحث عنـد مفكـري الإسـلام، ص ٣٨٠.

(هـ) مفهوم البحث

البحث العلمي هو الجزء الخلّاق، والمبدع في العمل الجامعي، وهو الذي يعمل على تنمية المعرفة، وإثراء الفنون الإنتاجية، وزيادة رصيد التراث العلمي الحضاري للإنسانية، وهو الذي يُمَهد الطريق لعملية التقدم والتطور في شتّى المجالات الاقتصادية، والاجتماعية، والحضارية، علماً بأنه إذا توقف البحث العلمي أصيبت جميع جوانب الحياة بالجمود، والتصلّب، وعجزت المجتمعات عن تحقيق أيٍّ تطور أو تقدم... وهو جزء مهم وحيوي من رسالة مؤسسات التعليم... به تَتَحَسَّسُ طريقها نحو العمل الأفضل في المستقبل، وبه كذلك تتوصل إلى صواب أو خطأ تجربتها في الماضي... إنه المعيار الذي يعتمد عليه العلماء في تنمية أفكارهم، وهو الوسيلة التي يقتصدون بها من توزيع جهدهم وتشتت أفكارهم، والتثبت من فعالية أدائهم، والبحث كما يحتاج إليه العالم العملي يحتاج إليه العالم النظري، إنه النور الذي لا يكاد يخلو منه ميدان ولا يستغني عنه إنسان... هو الفكر الإنساني مجسّداً، والجهد الخلّاق ماثلاً أمام العيان... إنه العمود الفقري، والركن الأساسي في قوام كل جامعة أو معهد، أو مؤسسة أو غيرها... ولئن أمكن أن تستغني الجامعات عن عملية تدريس الطلّاب فإنه لا يمكنها بحال أن تستغني عن

البحث... بل إنه إذا انحرف الفكر وفقد ثقته في جدوى البحوث احتاج في إثبات دعواه إلى بحث... ومن ثم كان البحث لازماً لكل مؤسسة علمية سواء أحسن القائمون بها إدارتها، أو أساء الإداريون بها توجيهها.

على أن نجاح بحثٍ - أيّ بحثٍ - جامعي أو فوق جامعي، يحتاج إلى تعاون وثيق بين العلماء ذوي التخصص المشترك من ناحية، وبينهم وبين الإدارات المسؤولة عنهم من ناحية أخرى - وهو كذلك يحتاج إلى إعداد الباحث باعتباره إنساناً متكامل البناء عقلاً وروحاً بحيث يكون مسلحاً بالعلم والمعرفة متحلِّياً بالخلق والقيم مجسِّداً للمعرفة المثلى في منهجه، وسلوكه، ومعاملاته، مدرّباً على الخير وحسنِ تصريف الأمور، وعلاج القضايا، والمشاكل، متخذاً له في الحياة أسوةً وفي الطريق مناراً، وللدرب غاية مدعماً مسيرته الخيّرة بمرشدٍ تربوي وتدريب إعدادي، وصحبة تحبب إليه عزائم الأمور، وتصرفه عن سفاسفها، مدركاً أن العلم مهما سمت مكانته ليس مقصوداً لذاته بل لما يؤدي إليه من كل ما يدخل في الإطار العام الذي حدّده المولى بقوله ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾[1].

---

(١) سورة الذاريات الآية ٥٦.

البحث في حقيقته تسجيل كتابي لفلسفة تربوية هُدي إليها الدارس إمّا إلهاماً أو إرشاداً، إذ العلم الإنساني كما يقول الفلاسفة[1] إنما يحصل عن طريقين أحدُهما التعلُّم الإنساني، وهو الطريق المعهود، والسلوك المحسوس الذي يقر به جميع العقلاء.

الثاني التعلم الربّاني، أو اللّدني الذي أشار إليه المولى بقوله ﴿**وعلّمناه من لَدُنّا علما**﴾[2]،وهو الطريق العلمي الذي سلكه الأنبياء والرسل والأولياء، ولهذا الطريق منهجان يتم الوصول إلى المعرفة في أولهما عن طريق التعلّم الذي يُشْبه في بعض جوانبه ـ ما سبق أن ذكرناه بينما يركز المنهج الآخر على التفكر. . . والتفكّر في الباطن كما يقول الإمام الغزالي في (الرسالة اللدنية)[3] ـ بمنزلة التعلّم في الظاهر فإن التعليم استفادة الشخص من الشخص الجزئي . . . والتفكّر استفادة النفس من النفس الكلي، والنفس الكلي أشد تأثيراً،وأقوى تعليماً من جميع العلماء والعقلاء.

---

(١) راجع رسالة حي بن يقظان،وآسال وباسال لابن سينا،والرسالة اللّدنية للغزالي، ص ١٦ ـ ١٧، والإحياء، جـ٣، ص ١٩، ومناهج البحث عند مفكري الإسلام للدكتور علي سامي النشار، ص ٣١٧ ـ ٣٥٢، والصراع الفكري حول الفلسفة للدكتور حسن الفاتح، طبع دار الجيل، بيروت.

(٢) سورة الكهف الآية ٦٥.

(٣) الغزالي: الرسالة اللدنية، ص ١٦ ـ ١٧.

هذا وبما أن الإسلام هو تناسق بين النظر والعمل ـ يقيم نظرية فلسفته في الوجود، ولكنه يرسم أيضاً طريقاً للحياة العملية ـ فإنه بهذا الاعتبار يخالف المنهج الأرسطي الذي يقسم المعرفة إلى نظرية وتجريبية. إنه ـ كما يقول الدكتور علي سامي النشار ـ منهج استقرائي يقوم على التجربة، وتنظمه قوانين الاستقراء ومن ثم فإنه هو لا غيره المعبّر عن روح الإسلام ما دام يعتمد على التجربة، والتجربة هي إحدى ركائز الإسلام الأساسية[1].

(و) تصنيف العلوم السابقة من حيث التدريب

هذا والعلوم السابقة وإن صنّفت تحت ما يصطلح عليه باسم العلوم النظرية فإن بعضها يشتمل على جوانب عملية وعلى الأخص مادتي الفقه والتصوف. فقد أمر الرسول ﷺ المسلمين أن يصلّوا كما رأوه يصلّي، ودعاهم إلى ممارسة عملية في الحجّ، وفرض عليهم بناء على التوجيه الإلهي صيام شهر كامل، ودعاهم إلى صيام غيره من الأيام، كما دعاهم إلى معاونة بعضهم البعض في كل

---

(١) الدكتور علي سامي النشار: مناهج البحث عند مفكري الإسلام، واكتشاف المنهج العلمي في العالم الإسلامي، طبع دار المعارف بالقاهرة، سنة ١٩٦٥ م، ص ٣٧٩ ـ ٣٨٠.

عمل يقومون به حتى لقد بلغ من عدل الإسلام ومساواته بين الناس أن أمر بمعاونة الخدم أو العمال ـ أيًّا كان نوع العمل الذي يؤدونه فقال: إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه من طعامه وليلبسه من لباسه ولا تكلّفوهم ما لا يطيقون فإن كلفتموهم فأعينوهم. وقد صنف رسول الله ﷺ مثل هذه الأعمال في باب العبادة واعتبرها صدقة، وأسماها المتصوفة فُتّوة وجعلوا ممارستها ـ واجباً، على المريد أداؤه بإقبال وحب وشغف، وتأسوا بأفعال الرسول ﷺ وهو يحفر مع أصحابه الخندق، ويجاهد معهم الكفار، ويصعد ويترك من غار حراء، ويطوف ويسعى، ويهرول بين العمودين الأخضرين لتأكيد قوة المسلم وصلابته وتدربه العملي على المشاق، وسمح الرسول ﷺ للمسلمين ـ بالإشارة بالآلة لتقبيل الحجر الأسود واعتبر حجهم متوقفاً على الوقوف بعرفات، وحبب إليهم صعود جبل الرحمة، وأمرهم برمي الحجرات، وأجاز للمرضى والزَّمنى وغيرهم أن يطوفوا ويسعوا وهم على الآلات محمولون، وجعل وسيلة التحلل من شعائر الحج استخدام الآلة للحلق وربط ذلك بالعبادة، وحذّر من لا يعمل بالآلة أو بغير الآلة من أن يجيء يوم القيامة وفي وجهه نكتة المسألة: وروي عنه أنه قال كل عمل الخير صدقة.

الباب الثاني

دور مؤسسات التعليم العالي في التدريب والبحوث وفق التصوّر السابق

مدخل

إن الدولة وقد أنشأت للبحوث مجالس قومية وللتعليم العالي مؤسسات تربويةً، وللتدريب أقساماً فنية، فإنها بهذا المفهوم لا تحصر خدماتها في ميدان خاص، وإنما تفتح نفسها على المجتمع لتؤدي من خلال كل مؤسساته بالتنسيق المشترك بينها ـ ما يناط بها من دور، وما ينتظر منها من واجب.

ومعلوم أن مجال الدراسات الإسلامية كغيره ـ مجال واسع يقوم فيه الكل بأداء دوره سواء أكان أستاذاً بالجامعة أم باحثاً بغيرها، وسواء أكان طالباً بذات الميدان، أم راغباً في العلم بخارجه، وما قيل عن البحث يقال عن التدريب؛ إذ هو كغيره ليس قصراً على جهة دون جهة، ولا على عمل دون آخر، ومن ثمَّ فإن ما يُنتظر من الدولة أداؤه ينحصر

بـإيجـاز في الميــادين الآتيـة: الميــدان العلمي، الميـدان الــروحي، الميـدان الصحِّي، الميــدان العملي، الميـدان الترفيهي، الميدان الإنساني، الميدان الإداري.

أولًا: الميدان العلمي

(أ) اختيار الأستاذ أو الباحث

يتصـدر ركب هذا الميـدان الدقـةُ في اختيار الأستـاذ المتخصص، المؤمن بربه العامل بدينه... ذلك أن الأستاذَ هـو كنـز التعليم العــالي الحي، وقلبـه النــابضُ الـذاخــر بالمعارف والخبرات، الذي يستطيع ـ إن أخلص ـ أن يبـذل من ذات ـ نفسه بما يجعـل التعليم العالي نـاجحاً، ومحقّقـاً للغرض المنشود منه في الداخل والخارج... والأستـاذ بما له من وسع إدراك وتفتح ونفاذ بصيـرة، وفكر ثـاقب ومعرفـة واسعة، وخبرة فنّية يستطيع أن يُوسِّع على طلبته وأمتـه آفاق المعرفة ويكشف لهم عن الكنوز العلمية بما يلائم حضارتهم وتطلعاتهم خاصة في ظلّ الشرع الإسلامي ليواكبوا الحضارة العالمية، ويسهمـوا فيها بنصيب تفخـر به الأجيـال ويعتزّ بـه الخلَق.

والأستـاذ كذلـك هو حجـر الزاويـة في هيكـل البنـاء العلمي لمؤسسـات التعليم العـالي... عليـه يَعتمـد نشـرُ

المعرفة، وتعميمُ الثقافة العامة، وإشاعةُ السلوك العلمي والتفكير المنطقي، وبه تنهض مؤسسات التعليم، ويرتفع البناء الحضاري للأمم... وهو بالإضافة إلى ما سبق، النموذج الحي للسلوك المثالي الحسن، وهو القدوة الصالحة للمجتمع في مجال القيم الخلقية، والتربية السلوكية.

إن اختيار الأستاذ الصالح يعني اختيار الجيل الصالح، وبناءَ الأمة السليمة التي أراد لها المولى أن ترث الأرض ومن عليها، إنه العلم والتربية والخلق والإحساس والشعور... إنه الإنسان الذي يتفاعل مع ربه، مدركاً حقيقته كعبدٍ له وخادم، ومع الخلق مدركاً دوره معهم كأخ لهم يرحم صغيرهم، ويواسي كبيرهم ويعين ذا الحاجة منهم... إنه الفرد الذي لا يدّخر في العبادة لله طاقة، ولا في التعامل مع البشر جَهداً... إنه المعلم الذي يدرك أن التربية ليست كلمات يلوكُها أو ألفاظاً ينمقّها أو أقاويلَ يؤلف بينها، أو أفكاراً يُرتِّبها، ولكنها بالإضافة إلى كل ذلك سلوك ومنهج حياة، وسيرة عملية يراعي في كل مرحلة منها خالقه الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

إن تأهيل الأستاذ ينبغي أن تُراعى فيه الكفاءتان العلمية والعملية، إذ التعلم الاستثماري العام هو تعليم يتعدّى

ذات الفرد إلى غيره. . . هذا والتأهيل المطلوب لا تحده شهادة أو تعوقه ترقية، فإن احتاج إليه المشارك وغيرهم يحتاجون إليه لمتابعة التطور ومواكبة التقدم ـ سواء أكان ذلك عن طريق الإجازات الدراسية أو الزيارات العلمية أو الدراسات الميدانية أو التبادل الثقافي أو غيره.

(ب) تأهيل الباحث

لئن كان التعليم الجامعي أو ما يقاربه ـ هو القدر المشترك بين كل المؤهلين، فإن الإعداد المطلوب في مؤسسات التعليم العالي هو ما يسمو على ذلك القدر ويفوقه، سواء أكانت نتيجته دبلومات، أو إجازات، أو ماجستير، أو دكتوراه، أو أستاذية، أو متابعة للتقدم ومواكبة التطور، أو غير ذلك.

والإعداد كما يكون في البيئة الأصلية أو المماثلة للأستاذ، يكون كذلك في البيئات العلمية والحضارية والمناخية والدينية المختلفة، علماً بأن للإعداد أيّا كان داخلياً أم خارجياً منافعه ومضاره.

(جـ) فوائد الإعداد الداخلي

١ ـ معايشة الباحث للبيئة المحلية التي يتفاعل بها ومعها، إذ الباحث المبتدئ الذي ينفصل عن بيئته، ولا

يتعرف عليها إلا عبر الدراسات الميدانية القصيرة، والزيارات العلمية، هو باحث ناقص الثقافة، قليل الخبرة، ضعيف المحصول العلمي، فَجّ المعلومات.

٢ ـ معالجة الباحث لقضايا الوطن، حيث أن وجوده به يجعله أكثر إحساساً بما تعانيه أمته من مشاكل، وما يلائم طبيعة أهله لها من حلول.

٣ ـ ثبات الباحث على عقيدته ونهجه السلوكي المستقيم، حيث أنه في وطنه لا يتعرض لتحدٍّ فكري أو سلوكي، يحيد به عما ألفه مما ينكرُه دينه، كما لا يتعرض للفتن التي ألفتها المجتمعات غير الإسلامية من مثل الجلوس في مجالس الخمر، ورؤية الفتيات العاريات، وتعرضه للمطعومات المحرمة أو المكروهة.

٤ ـ انصرافه عن المغريات المالية التي ربما دفعه إلى التفكير الجاد فيها ما يجده بالخارج من مظاهر الترف والبذخ التي يستمتع بها معظم الأوروبيين.

٥ ـ سهولة ممارسته لأداء الصلوات التي يجد الباحث مشقة في أدائها والاستعداد لها في المجتمعات غير الإسلامية.

٦ ـ هذا إلى أن التجربة التي يخوضها الوطن في

سبيل إعداد الباحثين تكسبه خبرة ودربة، وتمكنه من مسايرة التطور العلمي بإعداد الوسائل التي تسهّل على الباحث أداء مهمته... أضف إلى ذلك أن وجود الباحثين بالبلاد، وتنوع خبراتهم وأبحاثِهم وفنّهم يمكّن الوطن من الاستفادة منهم في شتى مجالات المعرفة فكراً وأداء.

(د) فوائد الإعداد الخارجي

١ ـ متابعة التطور العلمي والفكري عن كثب.

٢ ـ توثيق العلاقات الشخصية والعلمية والثقافية مع المؤسسات العلمية.

٣ ـ التعرف على المشاكل التي تعاني منها المجتمعات غير الإسلامية ومتابعة وسائل معالجتها توسيعاً للمدارك.

٤ ـ اكتساب لغة جديدة أو التعمق فيها لمن سبق لهم إلمام بها.

٥ ـ الاحتكاك بالأفكار المناوئة للأديان عموماً وللإسلام خاصّة.

٦ ـ تبليغ الدعوة الإسلامية لغير المسلمين عن طريق القدوة الحسنة أو الفكر الثاقب النيِّر، أو الاحتكاك الثقافي المثمر.

هـذا ولكي يؤدي التدريب الخـارجي الثمرة المـرجوة منه للفرد وعقيدته من ناحية، وللأمة التي يعايشها من نـاحية أخرى، أرى أن يسبق الإعداد الخارجي (كورس) مكثف أو دورة تـدريبية قصيـرة يلم فيها الـدارس إلمامـاً عامـاً بموقف الإسلام من القضايا التي تمس حياته ودينه من مثل:

١ ـ العقيدة الإسلامية واليهودية والنصرانية عامة.

٢ ـ طعام أهل الكتاب...

٣ ـ الاختلاط ومضاره وحدوده.

٤ ـ الزي المناسب للرجل والمرأة.

٥ ـ لحم الخنزير.

٦ ـ الخمـر ومجـالسهـا ومـا يمـاثلهـا من الحبـوب المنشطة أو المخدرة.

٧ ـ المراهنات والقمار.

٨ ـ أداء العبادات من صلاة بأنواعها، وصوم بـأنواعـه وحج وزكاة بأنواعها وصدق وخلق ومعاملة...

٩ ـ الزواج بالكتابية أو الكتابي (للمرأة) والمشـركة أو المشـرك (للمـرأة) مـع تـوضيـح رأي الإسـلام في تعـدد الزوجات.

١٠ ـ الفن وحدوده.

١١ ـ السلم والحرب والجهاد.

١٢ ـ الأقليـات غيـر المسلمـة في بـلاد الإسـلام

والأقليات المسلمة في البلاد غير الإسلامية.

١٣ ـ الرفقة المأمونة للمرأة في السفر وأثناء فترة البعثة.

١٤ ـ التوارث بين مختلف العقائد.

١٥ ـ الشبهات التي تثار حول الإسلام مثل الرق والطلاق وغير ذلك.

١٦ ـ الحضارة الإسلامية في الطب والهندسة والزراعة والفلك وغيرها.

١٧ ـ التربية الوطنية.

هذا واقترح أن تتولى مؤسسات التعليم طبع مذكرة مفهرسة بما تقدّم وغيره مما قد يتعرض له الباحث أثناء غربته ـ لتكون مرجعاً له ولغيره.

(هـ) الجمع بين المميّزات السابقة

هذا وحتى يمكن الجمع بين فوائد الإعداد الداخلي والخارجي، نرى أن تعمل الدولة على إيفاد الباحثين أساتذة كانوا أم طلاب دراسات عليا ـ إلى الخارج في بعثات ومهمات وزيارات، عن طريق اللقاءات، والمؤتمرات العلمية، والاتفاقيات الثقافية، وغير ذلك من الوسائل التي تخلق لهم بها قاعدة متينة يمكن الارتكاز عليها في تبادل المصالح مع العالم الخارجي، وتسهيل مهمة نشر الفكر

الإسلامي والدعوة له بعد التعرف على احتياجات بيئات المطلوب هدايتهم للإسلام.

إن الذين ارتبطت مصالحهم الدينية أو الدنيوية ببقائهم خارج المجتمعات الإسلامية فأرى أن تعمل مؤسسات التعليم العالي على خلق صلات قوية بهم للاستفادة من خبرتهم، وعلاقاتهم، في تهيئة المناخ المناسب لتحقيق مصالح الوطن الدينية والدنيوية.

(و) المكتبة

المكتبة هي المصدر الرئيسي للبحث العلمي، والمنبع الثري الذي لا يستغني عنه أستاذ أو طالب دراسات عليا. بنموِّ المكتبة وتزويدها تنمو وتزداد المعارف ـ والثقافات، وتتنوع وتتوسع المدارك والخبرات، بيْد أنَّ المكتبة لكي تقوم بدورها لا بد لها من:

١ ـ الدعم المادي المستمر لميزانيتها، والزيادة المطّردة لعدد الكتب الموجودة بها إما عن طريق الشراء، أو التبادل، أو الحصول على الهدايا العلمية ـ من المهتمين بنمو المعرفة وازدياها.

٢ ـ التنوّع في وسائل المعرفة التي تُهيأ للباحث بحيث تَضُم المكتبةُ ما يقرأ أو يسمع، أو يرى، أو يُلمس.

٣ ـ الإعـداد الفني للعـاملين بـالمكتبـة، حتى يؤدوا دورهم أداءً يتنـاسب وطموح البـاحث مـع مـراعـاة الـزيـادة المطردة في عددهم، في حدود إمكانيـات البلد الاقتصاديـة من ناحية والنسبة المطلوبة للعمل من ناحية أخرى.

٤ ـ أن ينظم العمل فيها تنظيمـاً يناسب وقت البـاحث وظروفَه.

٥ ـ أن تُهيـأ تهيئة تنـاسب عدد البـاحثين، وقـدراتهم الصحية والفنيَّة في الاستفادة من المكتبة، على أن يخصص ما أمكن جناح خـاص لكل بـاحث، يودِعُ فيـه كتبه وأدواتـه وأوراق أبحاثه وغيرها.

٦ ـ الصلات العلمية بينها وبين باقي مكتبات العالم، بحيث يتمكن البـاحث بـواسـطة المكتبـة من الاستفـادة من التراث العلمي الموجود بالمكتبـات العالميـة الأخرى، دون أن يضطر للسفر إلى البلاد المختلفة على أن يكـون للمكتبة سجلّ خاص بمحتويات المكتبات المهمة في العـالم إن لم يكن بكل المكتبات الخاصة والعامة بالداخل والخارج، وقد يساعد مثل هذا السجل الشامل إلزام الحكومات للمـواطنين بـإيداع قـائمة بـأسماء كتبهم لـدى المكتبـة الـوطنيـة أو دار الـوثائق المـركزيـة لتؤدي هذه بـدورهـا مهمتهـا في تغـذيـة (الكمبيـوتر) بكـل ما تحصلت عليـه من قوائم بعـد مراجعـة تصنيفها.

(ز) وسائل النشر والاطلاع

إن البحث الذي يبذل العالم فيه وقته وجهده، وتبذل الدولة فيه طاقتها ـ حَرِيٌّ به أن يرى النور، ويستفيد به الغير، وتعم به الفائدة ولن يأتي ذلك إلا إذا أكمل المسؤولون دورهم فهيأوا للكاتب وسائل النشر للبحث إن كان مقروءاً أو مسموعاً أو مبصراً وذلك عن طريق:

١ ـ توفير الآت الكتابة وأدواتها.

٢ ـ توفير وسائل الطبع والتصوير الآلي وأدواته.

٣ ـ الإعلام الفنّي المستمر عن البحوث بعرض المؤلفات والحوار حولها، وتسليط الأضواء على محتوياتها، وتنظيم لقاءات مفتوحة مع الكاتب، وتخصيص محاضرات وندوات حول بحثه.

٤ ـ النشر الواسع للبحوث بالبيع والإهداء والتبادل وغير ذلك.

(حـ) المنهج

إن أبرز أهداف البحث الإسلامي هو أن يكون دعامة أكاديمية، وتخطيطاً عملياً، ينمو به فكر الأمة وعقيدتها، ويرتقي به أداؤها، فيه تلتقي الأفكار، وتتصارع الآراء وتتفاعل التجارب، فيثمر هذا وينتج ذلك نموذجاً متكاملاً

حياً لما يتطلع إليه العلماء، وينشده الباحثون والمفكرون والخبراء، وذلك عبر منهج علمي وعملي مدروس يراعى فيه:

١ ـ إمكانية التطبيق مع المرونة.

٢ ـ القدرات الفعلية والعلمية والفنية للمستفيدين من البحث.

٣ ـ الالتزام التام بمنهج القرآن الكريم والسنة المطهرة.

٤ ـ مراعاة ظروف البيئة كلما أمكن ذلك.

٥ ـ المعاصرة والابتكار مع عدم الخروج عن الخط الإسلامي.

٦ ـ تحديد الأوليات وترتيب الموضوعات وفق الاهمية والحاجة.

٧ ـ تسليط الأضواء على المساهمة الإسلامية في الفكر الإنساني ورقي المخلوقات.

٨ ـ الربط الوثيق بين المناهج الدراسية، ومتطلبات التنمية الفكرية، والروحية والعملية.

٩ ـ تنويع البرامج الدراسية بحيث تستطيع مواجهة القدرات والاستعدادات المتبانية.

١٠ ـ دعم البرامج الدراسية بالمقومات التي تتيح للباحث مواجهة الحياة العملية في الحاضر والتكيفَ مع

احتياجات المستقبل، والمساهمةَ في قيادة حركة التقدم والتنمية والتطور، ومن أبرز هذه المقوِّمات إثارة خيال الطالب الدارس وفكرِه، وتحريك بواعثِ الخلق والابتكار فيه.

١١ ـ تنظيم برامج لتدريب الباحثين، كلٌّ في مجال تخصصه، وذلك بمواقع العمل المشابهة خلال مدة الدراسة، وفي العطلات الصيفية لتمكينهم من اكتساب المهارات وتوسيع المدراك والقدرات.

(ط) مثالب المناهج الحالية

هذا ومناهج مؤسسات التعليم العالي الحالية أبعدُ ما تكون عن تحقيق رسالتها إن لم تكن في بعض الأحيان معولاً لهدم الفكر الإسلامي وتقويضاً لشأنه ونسفاً لأركانه.

فهي في مجال الأدب النثري والشعري تربي في الطلاب النوازع الحيوانية وتثير الغرائز الجنسية، وتُبدع في تجسيد مفاتن المرأة، وتَحْبيب الخمر ـ للناشئين، وهي في مجال المدح تمدح كل عظماء الرجال لا تستثني أحداً غير رسول الله ﷺ، وتعطي نماذج لكل أثر فنّي ونص أدبي لا تستثني غير نصوص القرآن الكريم وأحاديثِ الرسول عليه السلام، وتفتخر بكل شيء لا تستثني شيئاً غير الإسلام.

كما أنها في مجال اللغة تقلّل عمْداً من مكانة القرآن

الكريم والحديث النبوي الشريف، وتُنادي أسوة ببعض المدارس، بالاعتماد على الشعر الجاهلي بدلاً عنه.

وينادي بعض أساتذة التأريخ فيها بما ينادي به الكفار، ودعاة تفتيت الوحدة الإسلامية حين يصوِّرون للشباب الدولة التركية مركز الخلافة الإسلامية ورمز الوحدة الدينية آنذاك، بأنها دولة مستعمرة، ناسين بأنَّ وقوع الظلم من بعض أفرادها لا يبرِّر تفتيت الوحدة الإسلامية الممثلة في سلطاتها ويفيض البعض في الثناء على الحضارة الأوروبية قاصرين دور الحضارة الإسلامية على مسائل حدثت في القرون السابقة، وكأنهم بذلك يبترون حاضر الأمة الإسلامية وحضارتها من ماضيها وتراثها.

ويغض المسؤولون بمؤسسات التعليم العالي الطرف عن الجرائم النكراء التي - يرتكبها علماء الآثار حين يكسِّرون عمداً الآثار الإسلامية بالسودان وغيره، ويهلِّلون فرحاً وطرباً للآثار النصّرانية وغيرها، مع علمهم بأن الصمت على مثل ذلك والإعراض عن رعاية الآثار الإسلامية سيمكن أعداء الإسلام من طمس كل أثر إسلامي للبلاد، ويُضفي عمداً الطابع النصراني على بعض أجزاء الوطن الإسلامي.

وفي مجال التأريخ كذلك لا تُعنى مؤسسات التعليم العالي بما تعرض له القرآن الكريم من حوادث تاريخية،

بـل إن بعض أساتـذتها ليصـرف النـظر عن القـرآن الكـريم بـدعوى أن التـواريـخ الـدينيـة لا تصلح أسـاسـاً للتـواريـخ العلمية، وهي فِرْيـةٌ (علمانيـة) ركلها العلمـاء المحدثـون، كما يؤكد ذلك العقاد في كتابه أبو الأنبياء الخليل[1].

وفي الجغرافيا لا يعنى المنهج بالآيـات القرآنيـة ذات الطابع الجغـرافي، كما لا يُعنى بعمـل دراسة علميـة يُحدد فيها بالتعاون مع قسم التأريخ أمـاكن البلاد التي أشـار إليها القرآن الكريم.

وقسم الفلك يـزَاور عن الـدِّين ذات الـيمـين وذات الشمـال، متناسيـاً دوره في تحديـد الشهـور العـربيـة ومنهـا (رمضـان) وتحـديـد مـواقيت الصلوات العـاديـة وصلوات الخسـوف والكسـوف والاستسقـاء ودروه كـذلـك في إحيـاء التـراث الإسلامي في الفلك وجمعـه، وتصنيفـه، ودراستـه دراسـة علمية معـاصـرة، ودوره في متـابعـة ورصـد التقـدم العلمي في مجـال دراسات الفضـاء والإسهـام فيـه، ويصمٌ

---

(١) العقـاد: أبو الأنبيـاء الخليـل، ص ١٢٥، طبـع سنـة ١٩٥٣، وراجـع الحياة العقلية في ضوء الفلسفة الإسلامية للدكتور ـ حسن الفاتح، طبع مـطبعة الأمـانة، مصـر سنـة ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م، والنـظم والمـظاهـر الحضارية عند العرب للدكتور ـ حسن الفاتح، طبع دار الجيل، بيروت عام ١٩٨٩ م.

المسؤولون بمؤسسات التعليم العالي آذانهم عما يجري من عبث وتحطيم للمثل والقيم في دور السينما والمسارح، ويكتفون بمشاركة الناس استنكارهم بالقلب واللسان، مُحجمين عن الإقدام على عمل إيجابي يقدِّم للناس البديل، ويدرّب من يعملون في مثل هذه الميادين ويُثقِّفهم، بما يربطهم بدينهم وتراثهم ـ وحضارتهم من ناحية، وبتقاليد مجتمعهم وأعرافه من ناحية أخرى؛ علماً بأن (فيلْماً) واحداً غير هادف، أو تمثيلية ضالّة قد تُحطِّم أخلاقياً ما بنتّه مؤسسات التعليم العالي في أعوام. واكتفى واضعو مناهج اللغات بتنزيل مكانة الجامعات بما يجعلها أشبه بمدرسة ابتدائية أو ثانوية لتعليم اللغة، بل وأسوأ من ذلك إن عمل هؤلاء على التركيز على حضارة الأوروبيين متناسين بأن من الأغراض الأساسية لإنشاء مثل هذه الشّعب هو أن نكون أداة لتبليغ رسالة الإسلام شفوياً وكتابياً للأمم الناطقة بمثل تلك اللغات، بعد أن يتمثل طلاب شعبها ثقافة الإسلام وعقيدتَه وحضارته بنفس اللغة.

وظنّ بعض واضعي مناهج الدراسات الإسلامية أنهم بمقارنتهم بين الحق والباطل يرفعون من قدر الإسلام، عِلْماً بأنه لا مجال للمقارنة إلّا بين الأشياء المتماثلة، وما دام القرآن من عند الله الذي وعد بحفظه، والكتبُ السماويةُ

الأخرى قد حرّف أصحابُها الكلم عن مواضيعها، فإن مجرد المقارنة بينها تُسِيء إلى الدين الإسلامي وتَخْرج بحامل لواء المقارنة فرداً أو هيئة عن جادّة الطريق وصدق الشاعر إذ يقول:

ألم تر إنّ السيف ينقض قدرُه
إذا قيل هذا السيف خير من العصا

ويَتْخوفُ واضعو منهج التربية حين يحيدون عن الصراط المستقيم، ويتخذون مَثَلَهم الأعلى في التربية أقواماً تختلف عقيدتهم عن عقيدتنا، وفلسفتهم في الحياة والمنهج السلوكيِّ والأخلاقيِّ والتربوي، عن مناهجنا، ومن ثم يهملون أمر التربية التي وصّى بها إبراهيم بنيه ويعقوب... التربية التي لا تختصر على إعداد المعلم إعداداً فنياً، وإنما إعداداً إنسانياً، وخلقياً، بحيث تمتزج دراسته مع سلوكه فيعيش التربية داخل الفصل وخارجه، يراعيها في علاقته بالله وبالدين، وفي علاقته بوالديه وأسرته، وفي علاقته بالمجتمع، بل وفي رعايته لممتلكات الدولة وممتلكات الآخرين، وأعراض الناس، ودمائهم، وأموالهم، يراعيها حتّى في تعامله مع الحيوانات التي أوصى بها الرسول ﷺ.

التربية التي ننشدها هي تلك التي تخلق من الفرد مسلماً يكون الرسول ﷺ أسوته في الحياة المادية والروحية،

إذ لم يَحدُث أن فَصَمَ الرسول ﷺ بينهما، وكان حتى في المعركة الحاسمة يوم بدر والأعداء يحفّون به من كل جانب كان يُطيل السجود والدعاء، مدركاً أن النصر من الله لا من السلاح . . .

التربية الحقة هي التي يكون شعارها **﴿واتقوا الله ويعلمكم الله﴾**[1] . . **﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾**[2] . . **﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً﴾**[3].

تلك هي فلسفة التربية التي من أجلها تضع الملائكة أجنحتها لطلاب العلم، وهي ذاتها فلسفة التربية التي يُساوي مِدَاد العلماء فيها دم الشهداء.

والتربية بهذا المفهوم كما يكون التدريب العملي فيها بالتدريس في الفصل أو المشاركة في الحصة أو المحاضرة، يكون كذلك بالمشاركة في الصلوات والأذكار والأوراد وأنواع التكريم التي تُربِّي الشباب على حب الرسول ﷺ ومقتفي أثره.

لقد آن لنا أن نبرز شخصيتنا كأمة ذات حضارة وثقافة وعلم وتراث، آن لنا أن نتحرّر من الأسر الفكري النصّراني

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٨٢ .

(٢) سورة الطلاق الآية ٣ .

(٣) سورة طه الآية ١٢٤ .

واليهودي الذي كُتب علينا أن نسير فيه وكأنّنا بذلك نصنّف أنفسنا تحت من عناهم الله تعالى بقوله عنهم: ﴿**فاستحبوا العمى على الهدى**﴾[1]. وقوله ﴿**الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يُحسنون صُنْعا**﴾[2]. وقوله ﴿**اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون...**﴾[3].

ومناهج الفلسفة كمثيلاتها تحتاج إلى ثورة تماثل ما قام به الغزالي وهو يردّها إلى الجادة، ويُصفّيها من شوائب الكفر، ويسبغ عليها الشخصية الإسلامية، فمناهج الفلسفة ما تزال تتعثّر في الهاوية التي قُذفت فيها حين قسّم النصارى واليهود مراحلها إلى يونانية ووسطى، وحديثة، ومعاصرة وزجّوا عمداً بفلسفة المسلمين في تيار القرون الوسطى في حين فتحوا لأنفسهم الباب حتى العصر الحاضر، فظللنا نسمع بفلاسفةٍ مسيحيين ما زالوا أحياء، بينما أحكموا قفل باب الفلسفة على المسلمين، فكان الكتّاب إذا ما أشاروا إلى الفلسفة الإسْلامية لا يشيرون إلا إلى ابن سيناء والفارابي وأضرابهم ممن عاشوا حوالي القرن الخامس الهجري.

---

(١) سورة فصلت الآية ١٧.
(٢) سورة الكهف الآية ١٠٤.
(٣) سورة الأعراف الآية ٣٠.

وأقام الغربيون للفلسفة اليونانية شأناً عظيماً حيث أشادوا بالفكر الأوروبي ممثّلاً فيها، بل بالغ بعضهم فاعتبر الفلسفة الإسلامية جسْراً عَبَر به الفكر اليوناني الأوروبي إلى أهله، وفرح المخلّفون بمقعدهم خِلاف رسول الله، وكرهوا أن يُجاهدوا فكرياً لدحض ما ألصق بهم من تهم، بل لقد أَلِفَتْ آذانهم سماع تلك الافتراءات فصدّقها بعضهم، وصاروا يُنادون كغيرهم بأن الفكر الإنساني كان قبل اليونانيين طفلاً، متجاهلين أن الفكر الإنساني بدأ ببداية سيدنا آدم، وسيدنا آدم رسول بلغ من الفكر الذروة وكذلك كان أبناؤه من الأنبياء الذين سبقوا اليونانيين[1].

لقد أصبحت دعوى المعجزة اليونانية ستاراً يختفي وراءه دعاة تحطيم ما أسموه بالفكر الحامي ليتسنى للأوروبيين وصل ما يزعمونه من حاضرٍ حضاري بماضٍ تليد يماثله في الحضارة النسبية[2].

وكان علمُ الاجتماع كالفلسفة بعيداً عن الواقع الحضاري للأمة الإسلامية عامة، والوطنية خاصة، فقد ارتبط

---

(١) لدحض هذه الفرية علمياً ألّفت كتاباً كاملاً أسميته نشأة التفكير فراجعه.

(٢) العقاد: إبليس، طبع القاهرة، والحياة العقلية في ضوء الفلسفة الإسلامية للدكتور ـ حسن الفاتح، طبع القاهرة سنة ١٩٧٨ م، وطبع بيروت سنة ١٩٨٩ م.

في بعض نـواحيه بـالفكرة الأوروبيـة بـدلاً من الإسـلاميـة، وأغفل احتياجات الإنسان الروحية مـع اتفاق المختصين من علماء الاجتماع بأنها أعظمُ الحقائق بالنسبة له، وأبْعَدَ نفسه عمــداً عن نصوص القــرآن الكــريم والحــديث النبــوي الشـريف، مـع أنهــا الأسـاسُ الـذي ينبني عليـه الكيــان الاجتماعي في الإسلام، وأهمـل وصل العـلاقة بين السلوك الإنسـاني والشريعـة الإسلاميـة، وتبنّى بعض التقليديين فيه دون وعي عن فكـرة (دوركايم الاتحـاديـة) التي تقـول بـأن الـدين ظاهـرة اجتماعيـة. ونَصَبوا من أسس غيـر إسـلاميـة معايير يحكمون بها على سلوك الإنسان، ناسين أن هـدفهم الأسـاسي هـو دراسـةُ ووصفُ وتفهّمُ معنى الحيـاةِ والسلوكِ واكتشـافُ أسباب ذلـك انـطلاقـاً من عقيـدة الأمـة وتـراثهـا ومفهـومها عن الحيـاة والعمـل والعـلاقات الإنسـانيـة، إذ العقيدة عامة والإسلامية خاصة ـ باعتـراف علماء الاجتمـاع هي أقوى النواحي الثقافية التي تسيطر على الناس في البلاد الإسلامية، ومن ثَمَّ فإنه لا يمكن تجـاهلها عنـد تخطيط أي برنامج للعمل بينهم.

وما قيل عن الناحية النظرية يقـال عن التدريب الـذي قـد يختلط فيه الـرجال بـالنساء، كمـا تختلط فيـه فلسفـات التـربية ببعضهـا لتُنتِج مـا هو وبـال على الفكـر والتقـاليـد.

والمثل، والقيم، ومن ثم يكون المدخل للتدريب في حدِّ ذاته مناهضاً لفلسفة الأمة التي يراد تدريب مصلحيها. فتبدأ بذلك ومنذ أول وهلة مظاهر الفرقة بين المجتمع وبين مَنْ نصبوا أنفسهم لإصلاحه؛ هذا إلى أنّ التدريب حين يُمارس لا تُعطى الأولوية فيه لما يمسّ حاجة الأمة وتحقيقَ رسالة التعليم، الأمر الذي يجعل التقليد في موضوعات التدريب مظهراً من مظاهر العمل الاجتماعي عندنا.

أضف إلى ما تقدم أن المسؤولين يَفْصِمُون أنفسهم عن مجتمعهم وأسرتهم حين يتجاهلون دور التصوف في حياتهم السياسية والاجتماعية، والفكرية والتأريخية والعِلْمية، فلا ينشؤون لدراسته مركزاً، أو يخصصون له معهداً، علماً بأن أقدم مرجع بأيدينا حين يُؤَرخ لا يؤرّخ إلا للمتصوفين، وأبرز من حملوا لواء الدعوة إلى الله باعتراف جميع الناس هم رجال التصوف، وأشهرهم قادة ارتبط مجدهم بمجد السودان، وسياستهم بتراث الأمة وعقيدتها ودينها هم من نتاج وتربية المتصوفة.

بل إنك لا تكاد تجد أسرة بالسودان إلا ومعظم أفرادها ينتمون إلى المتصوفة إمَّا تَطَرّفاً، أو ولاء حتّى أنك لتستطيع أن تُميز من أسماء الأسرة نوع (الطريقة) التي ينتمون إليها، واسم الشيخ الذي ينتسبون إليه... هذا إلى

أنّ تراث المتصوفة ومؤلفاتهم هو الثروة الدينية الوحيدة التي يُفاخر بها السودان. . . ولا أحد يُماري في أنّ أثر تربيتهم لمريديهم هو الأثر الوحيد الذي نَعْتَزّ به حين نتحدث عن أخلاق السودانيين وكرمهم.

فبيوت المتصوفة هي الفنادق المجانية التي يستطيع أن يؤمها الفرد وأسرته في أيٍّ لحظة، بل ويتزود بالإضافة إلى الضيافة بزادٍ مالي قد يصل حد إنشاء المنازل السكنية، والمتاجر، وتمليك العربات. ولم يحدث سابقاً أو حاضراً أن بُني مسجد غير حكومي بالبلاد إلاّ وكان مُنشئه شيخُ طريقة صوفية أو مريدٌ من مريديه، وما قيل عن المساجد يقال عن (الخلاوى) القرآنية، والزوايا وبيوت الضيافة، والسبائل - (جمع سبل) بل إن المتصوفة وجهوا مريديهم بإنشاء المعاهد، والمدراس، والمستشفيات، والمصحّات وقد افتتحت الدولة عدداً منها.

إن من ينكر أثر التصوف إنما ينكر ضوء الشمس، وصدق الشاعر إذ قال:

عالج عيونك كي تحْظى برؤيتهم
فليس تدركهم عين بها رمد[1]

---

(١) راجع ديوان الشيخ محمد علي يوسف (مخطوط).

والآخر إذ يقول:

ما ضر شمسُ الضحى في الأفق طالعة
أنْ لا يرى ضوءها من ليس ذا بصر

وتمثِّل شعبة الاقتصاد الحالي بالجامعات حامياً لفكر الغرب المتمرد على نصرانيته ويهوديته... فلئن أقام لفكرهم الاقتصادي ناطحات التحدِّي للأمم التي أسموها نامية فقد أعرض عن التحدِّي علماء الاقتصاد عندنا، واكتفوا بفتح نافذات في بناء الغرب الاقتصادي يُطلون بها على نظمهم الاقتصادية، ويكاد الفرد منهم لا يتحدث عن نظرية في الاقتصاد الإسلامي إلا عَبْر ما درسه من نظريات غربية، وأما من لا يؤمن بجدوى الفكر الإسلامي في الاقتصاد ففي آذانهم منه وقْر، وهو عليهم عَمى.

وجاءت تسمية وحدة الدراسات الإضافية ببعض الجامعات ترجمة حرفية للكلمة الإنجليزية التي نقلت عنها، كما جاءت تقليداً لما هو عند الآخرين، وإلا فكيف يتسنى لنا مثلاً أن نزعم أن البناء الفكري للفرد في مجالات الدراسات الإسلامية والتفقهية والعربية وغيرها ـ عمل إضافي بالمفهوم العربي لكلمة إضافي... إنّ ما تقوم به هذه الوحدات هو في الواقع عمل تأهيلي أو تكميلي، ومن

ثم كان الأولى أن تسمَّى بكلية أو معهد الدراسات التأهيلية أو التكميلية.

وللجامعات دور أكاديمي في الإفتاء حيث أنها مؤسسات علمية تضم أكبر عدد من المتخصصين ممن يلجأ إليهم الناس في الفتوى في الأحياء والشوارع وغيرها ومن ثم كان على مؤسسات التعليم المختصة أن تحيي ما أرمَّ من عظام لجانها التي كوَّنتها ليشهد المحتفلون بميلادها إسدال الستار على دورها إن لم يكن وأدها.

هذا ويكاد فريق من العلماء حين يتحدث أو يكتب في المواد الإسلامية يعتمد اعتماداً كاملاً على المفهوم المعاصر للنّصارى واليهود لها، بل ويجعل كتبهم له مراجع لا يأنف من ذكرها، إن لم يفتخر أمام الغير بأنه باستعماله لها يصير بحثه بحثاً علمياً، به يتوخى الحياد الموضوعي، ويستخدم فيه الأسلوب المنطقي... ومن المؤسف أنّ مثل هذا الأسلوب قد جاز على الكثيرين في غير عهد الصحوة الإسلامية فأنكروا معجزات الأنبياء، ولم يتّسع فكرهم لقبول إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأعمى وشفاء العاقر، وإحداث الخلق غير المألوف للحوادث، وتسبيح الحصى، وحنين الجذع وسلام الحجر والمدر، ومعرفة الطيور بالله تعالى، والتحدث مع الحيوانات ووجود خلق لا يرى حتى (بالمايكروسكوب)، ولا يكتشف حتى (بالرادار) خلق

يشاركهم أحياناً في الأكل، والشرب والتناسل، والتكاثر، والحركة، والكلام، والصّلاح، والتقوى، والفسق، والفجور، والعصيان، وقد يفوق آخرون منهم الإنسان قوة وعدداً، وحركة، وطاقة وعلو مكان، وسعة إدراك من غير أن يتناسل ذكر عن أنثى أو أنثى عن ذكر، ودون أن تقف العوائق الطبيعية، أو مرحلة (انعدام الوزن) عقبة في طريق أداء مهامهم في الحياة. إن هؤلاء قد مرقوا بإنكارهم للغيبيات مروق السهم من الرمية، ذلك أن إنكارهم للغيبيات يُعَدُّ إنكاراً لما عرف من الدين بالضرورة، يقول تعالى: ﴿**ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدًى للمتقين، الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة... إلخ**﴾[1]. أضف إلى ذلك أن إنكارهم لمثل ما تقدم فيه تكذيب لبعض ما جاء به رسول الله ﷺ، ومن كذّب ببعض ما جاء به عليه السلام كان كمن كذب به كلّه[2]، كما يقول ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث.

هذا ونسب بعضهم الشفاء للعقاقير ولما يمتاز به بعض الأطباء من مهارة ودُرْبة وخبرة وعلم، رافضين قبول غيرها كوسيلة مجربة ناجحة للعلاج، وكأنهم بذلك

---

(١) سورة البقرة الآيتان ١ و٢.

(٢) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة، ص ٢٨٨.

يحجرون واسعاً، ويضيّقون فسيحاً. ناسين أن الشافي الحقيقي هو الله وحدَه، وأنّ من لم يشفه القرآن فلا شفاء له كما يقول رسول الله ﷺ[1] وأن:

من يقل بالطبع أو بالعلة	فذاك كُفْر عند أهل الملة
ومن يقل بالقوة المودعة	فذاك بِدْعِيٌّ فلا تَلْتَفِتِ

واختلط على شبابنا تبعاً لذلك الحابلُ بالنابلِ، فتارة يؤمنون بالغيب، وأخرى به يكفرون، وتارة يتخذون الرسول ﷺ لهم أسوة، وأخرى ينكرون قبول أقواله وأفعاله وتقريراته، ووُجِد من يُنادي من هؤلاء تجمّلاً للكفّار بجواز ما حرمه الشرع، فقال بعضهم إن الأمر بالاجتناب في موضوع الخمر لا يعني الحرمة؛ وأجاز البعض الآخر زواج الكتابيّ من المسلمة مع وجود النص الشرعي المانع، واعتلى حزبٌ منهم منصة الثورة على كلّ التراث الإسلامي فأنكروا قبول الحديث النّبوي، ونادى آخرون بأن الإسلام لا يصلح للقرن العشرين؛ وجاء من ظنَّ منهم أنه يُحْسِن صُنْعاً فقصر الصلوات المكتوبة على أقل من خمس في اليوم والليلة. وعزف على قيثارة الحبِّ الماجن بدعوى أن الله جميل يحب الجمال، مستدلّين على زعمهم بقوله

---

(١) رواه ابن نافع عن رجاء الغنوي.

تعالى: ﴿قل من حرّم زينة الله التي أخرج لعباده﴾[1].
وفتح البعض لنفسه باب النبوة ليخاطب الناس باعتباره دابّة للأرض تُكلِّمهم إذا وقع عليهم القول. . . واستخدم فريق من هؤلاء أسلوب الشتم، والسب، والقذف والطعن، والسخرية، وسيلة لإثبات الباطل، وتقويض دعائم الحق. . .

كل ذلك وأمثاله كثير صُبَّ في القالب الإسلامي عمداً أو جهلاً، فتراكم بذلك الخطأ، وعظُمت المسئولية، وجل الخطب، ومن ثمّ كان على مؤسسات التعليم دور مُزْدوج تبدأ التَّحلية فيه بعد التخلية، أو البناء بعد الهدم.

عام التدريب الإلزامي أو: علاج هجرة العقول

تشكل ظاهرة هجرة العقول خطراً يُهدد مستقبل البلاد العلمي والعملي ويُودي عاجلاً أو آجلاً بحياة الأمة، ويحدّ من رقيها وتطورها. . . ومن ثمّ كان على الدولة أن ترسم سياسة مُزْدَوجة تعمل فيها من جانب على الحدِّ من هجرة العقول، وتعمل من جانب آخر على توفير العدد الكافي من

---

(١) سورة الأعراف الآية ٣٢.

المؤهلين، وذلك عبر وسائل مختلفة أهمها أن تتخلل المرحلة الدراسية لطالب الدراسات الجامعية ـ سنةٌ إلزامية، يقضيها في التدريس، وفي الدعوة إلى الله، وفي العمل في الميادين التي تتفق وتخصصه، على أن يُقيِّم انتاجه فيها ويرصدَ مع نتائج العام النهائي له، فترتفع بذلك درجاته في (البكالوريوس) أوْ تقلُّ؛ وبها كذلك يتحدد قبوله طالباً بالدراسات العليا، أو موظفاً بالدولة، على أن لا يسمح له إطلاقاً بالاستمرار في إكمال دراسته الجامعية أو ما يعادلها ما لم يؤدِّ واجبه باتقان وتفان خلال عام التدريب الإلزامي له، ويحصل على وثيقة بذلك من جهات الاختصاص التي قضى معها عام تدريبه... ويُفضّل أن يبدأ تطبيق هذا النظام الإلزامي بعد أن يعمم نظام الساعات الدراسية (المقررات) بمؤسسات التعليم العالي حتّى يتمكن الطالب من إكمال دراسته في نفس المدة التي كان عليه أن يكملها فيها فيما لو ظل يدرس وفق نظام العام الجامعي المألوف، أو نظام السنة الكاملة.

هذا ومن البديهي أن مثل هذا النظام من التدريب يُكسب الطالب مهارات فنية ويوسع مداركه، ويربطه ربطاً حقيقياً بواقع العمل، ويخلق له عند عودته للدراسة حيوية ونشاطاً وإقبالاً، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يقضي قضاء تاماً

على الأثر السلبي لهجرة العقول، فالمدارس مثلاً تجد على الدوام من يقوم فيها بأداء العمل وفق التخصص العلمي المرغوب فيه دون أن تتحمل الدولة نفقات باهظة، وكذلك الحال في دور العبادة وساحات التثقيف العام، ومكاتب الدولة، والمزارع، والمصانع، والشركات وغير ذلك من الوظائف التي لا يؤثّر على سير الأداء فيها غياب ذات الفرد منها بعد انتهاء العام المحدد له بها.

أضف إلى ما تقدم أن دائرة التدريب الإلزامي يجب أن تتسع بحيث تمتد إلى كل عمل داخلي أو خارجي يقع تحت إشراف الدولة ومسؤوليتها ودعايتها، فالدعوة إلى الله مثلاً كما تكون لتثبيت العقيدة بين المؤمنين في الداخل، تكون لتأصيلها وتأسيسها بين غير المؤمنين بالخارج، ومثل الدعوة في ذلك عمل السفارات والشركات والوزارات التي لها مدارس أو مكاتب بالخارج.

هذا ولئن اشترطت بعض الدول على الطُّلّاب ممارسة أنواع معينة من الرياضة بصفة إجبارية كالسباحة وغيرها[١]، فإن حاجتنا لتوفير العقول تجعلنا نشترط مثل ذلك النوع من التدريب الإلزامي الذي يسد حاجة البلاد في مختلف التخصّصات.

---

(١) الإدارة الجامعية للدكتور النشار، ص ٢٧٢.

ثانياً ـ الميدان الروحي

كانت العلوم الإسلامية بمفهومها العرفي تشابه نظيراتها، بعد أن تجردت عن الروح وابتعدت عن ميدان التطبيق، واقتصرت على الناحية الأكاديمية، علماً بأن بعضها لم يُفهم سابقاً إلا مصحوباً بالعمل، فقد روي أن رسول الله ﷺ قال: ألا أنبئكم بالفقيه كل الفقيه؟ فقالوا بلى. قال: من لم يقنِّط الناس من رحمة الله، ولم يؤمنهم من مكر الله، ولم يؤيسهم من روح الله، ولم يدع القرآن رغبة عنه إلى سواه. وسأل فرقد السنجي الحسن رضي الله عنه عن الشيء فأجابه فقال: إنما الفقيه، الزاهد في الدنيا، الراغب في الآخرة، البصير بدينه، المداوم على عبادة ربه، الورع، الكاف نفسه عن أعراض المسلمين، العفيف عن أموالهم، الناصح لجماعتهم. ولم يقل في كل ذلك الحافظ لفروع الفتاوى[1].

وما قيل عن الفقه يقال عن التصوف فقد كاد يحيله بعض الكتّاب إلى علم للجدل إذ أضاعوا وقتهم وأفرغوا جهدهم في وسائل هي بمثابة (اللافتة) للمحتوى فتنازع الباحثون حول أصل التصوف ومنشئه وأكثروا من الكتابة

---

(١) الغزالي: إحياء علوم الدين.

حول تاريخه، واصطلاحاته، وأطلق بعضهم لنفسه العنان ليتصوّر حالة أهل الذوق والكشف مع قصر أفهام الخلق عن ذلك كما يقول الإمام الغزالي في الإحياء[1].

لقد تعرضت العلوم الإسلامية عبر تاريخها لتحريف في أسمائها، وتبديلٍ ونقلٍ خرج بها عن دائرة المفهوم الأصلي لها إلى معان أخرى، غير أنّ أسوأ ما تعرضت له كل تلك العلوم هو إفراغها من الروح، وإبعادها عن دائرة العمل، وإلباسها ثوباً ضيّقاً ما تزال تجهد نفسها في التخلص منه، والانعتاق من دائرته.

فالتوحيد الذي كان مفهومه سابقاً رؤية الأمور كلها من الله رؤيةً تقطع التفات الباحث عن الأسباب والوسائط ـ صار صناعة أكاديمية مهمتها الإلمام بمناقضات الخصوم، والقدرة على الجدل، وإثارة الشبهات، وتأليف الالتزامات[2]. . . وَلفَّ التيار علماءه فغفلوا عن لبِّ التوحيد، وتمسّكوا بالقشور، فلم يَعُد لهم هَمٌّ سوى إثبات مفهوم التوحيد المناقض للتثليث، وذلك أن الشرط عندهم هو أن يقول الفرد بلسانه لا إله إلا الله، فإذا قالها ـ ولو نفاقاً ـ ارتفعوا به إلى مصاف المؤمن

(١) الغزالي: الإحياء، جـ١، ص ١٢.
(٢) الغزالي: الإحياء، جـ١، ص ٥٠.

العـارف بالله. . . عِلْمـاً بأن مفهـوم التوحيـد الحق لا يتأتى لمن التفت ولو لحظة لغير الله، إنه الاستغراق في الله عبْر ما أعدّ لهذا الاستغـراق من طريقٍ أسمـاه الرسـول ﷺ بريـاض الجنة أو مجالس الذكر التي شعـارها **﴿قـل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون﴾**(١)

إنه الذكر الدائم لله والتذكير المتواصل للآخرين بـه، إذ ليسَ سوى الذكر غير النسيان أو الإعراض. . . وقـد حذر المـولى من ذلك فقـال: **﴿من أعـرض عن ذكـرى فـإن لـه معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى﴾**(٢).

والذكر كما يكون بالفكر يكون بالحـركات الـرياضيـة التي تنشط الجسم، وتـطرد الملل وتُذهب الـرتابـة، وتطيـل فترة العبادة، على أنها في الحالتين تطمئن القلوب، وترضي الرب وتكون عاملاً جـاذباً لحضـور الملائكـة. فقد ورد في الحـديث النبوي عنـه عليه الصـلاة والسلام أن لله مـلائكـة سيـاحين في الدنيـا سـوى مـلائكـة الخلق إذا رأوا مجالس الذكر يُنادي بعضهم بعضاً ألا هلمُّـوا إلى بُغْيتكم، فيأتـونهم فيحفّـون بهم ويستمعـون. . . ألا فـاذكـروا الله وذكـروا أنفسكم(٣).

---

(١) سورة الأنعام الآية ٩٣.

(٢) سورة هود الآية ١٢٤.

(٣) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أما الفقه فقد خرج به العلماء عن دائرة معناه الأصلي فجعلوه قاصراً على معرفة الفروع الغريبة في الفتاوى والوقوف على دقائق عللها واستكثار الكلام فيها وحفظ المقالات المتعلقة بها، فمن كان أشد تعمّقاً فيها، وأكثر اشتغالاً بها يقال له الأفقه.

ولقد كان اسم الفقيه في العصر الأول مطلقاً على علم طريق الآخرة ومعرفة دقائق آفات النفوس، ومفسدات الأعمال، وقوة الإحاطة بحقارة الدنيا، وشدة التطلع إلى نعيم الآخرة واستيلاء الخوف على القلب. ويدلك عليه قوله تعالى: **﴿ليتفقّهوا في الدين، ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم﴾**[1]. وما يحصل به الإنذار والتخويف، هو هذا الفقه دون تفريعات الطلاق، والعتاق، واللعان، والسلم، والإجارة، فذلك لا يحصل به إنذار ولا تخويف بل التجرد له على الدوام يُقسِّي القلب وينزع الخشية منه[2].

ويتصل بأمر الفقه الصلوات والصيام والحج والزكوات وكلها عبادات ممزوجة بأعمال غير أنها إن كانت عند البعض تُؤدَّى بروح وإخلاص فهي عند الآخرين قد أُفرِغت من الروح وصارت تؤدى كواجب.

---

(١) سورة التوبة الآية ١٢٢.

(٢) الغزالي: الإحياء، جـ ١، ص ٤٨.

أخلص مما تقدم بأن مفهوم العلم أيًا كان موضوعه قد مرَّ بمرحلتين:

١ ـ حُرِّف في أولاها وبُدِّل ونُقل، حتى أصبح للدين علوم، وللدنيا علوم... علماً بأنه كان قد أريد منه سابقاً العلم بالله تعالى، وبآياته، وبأفعاله في عباده وخلقه وهو مفهوم عام كان ينتظم جميع العلوم ما عرف منها وما لم يعرف.

أما في الثانية فقد أفرغ من محتواه الروحي، وجرد من مراعاة الله فيه، بحيث صار مفهوم العلم أخيراً... مغايراً لمفهوم العبادة، علماً بأن كل علم أو عمل إذا صاحبته النية الخالصة في العبادة كان عبادة حقيقية. فقد قال الرسول ﷺ إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى.

إن على المسؤولين وقد آلوا على أنفسهم النهوض بشأن التدريب والبحوث، أن يردّوا طلاب العلم إلى جادة الصواب، ويغيروا من مفهوم العلم والعمل عندهم، ويَحضُّوهم على مراعاة الله وتقواه في كل عمل أو علم يقومون به على أن يوفروا لهم كذلك دُورَ العبادة في المؤسسات العلمية ويدرّبوهم على الحجج وعلى آلات الرصد الفلكي، وعلى استعمال أجهزة (الكمبيوتر)

المختلفة، ومعمل اللغات التي يستعان بها في دراسة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ويُنوعوا لهم مناهج الأداء في أسلوب التربية إذ من العجيب أن تبذل الدولة أقصى إمكانياتها المادية والبشرية والفنية، لترقية الأداء الرياضي للطلاب إذا كان بعيداً عن العبادة وذكر الله، وتُحْجم بل وتستنكر أن يقام للذكر الحركي أو الرياضي مكان بمؤسسات التعليم.

على مؤسسات التعليم أن تقوم بتربية الشباب تربية روحية وخُلقية وترفع بين وجدانهم فاعلية الضمير، وتُدربهم على إدارة وتصريف الأمور كلها، على أن يعلموا أن المولى معهم حيثما كانوا إذ **﴿ما يكون من نجوى ثلاثةٍ إلا وهو رابعهم﴾**[1]. **﴿وهو يعلم خائنة الأعين وما تُخفي الصدور﴾**[2].

إن مؤسسات التعليم ـ كما هو معلوم ـ هي المكان الذي يجري فيه إعداد الفرد بشكل علمي ومنظِّم، ليصبح إنساناً متكاملاً عقلاً، وجسماً، وضميراً، وسُلوكاً فينهض برسالته التي حمله الله بها، بأن يكون خليفته على الأرض

---

(١) سورة المجادلة الآية ٧.

(٢) سورة غافر الآية ١٩.

يعمل على عمارة الكون وتنمية المال الذي استخلفه عليه الله، وينشر الحضارة ويرفع ألوية الحق والرشاد، ويقيم الموازين بالقسط، علماً بأن تنمية قدرات الفرد على التحليل والبحث العلمي فحسب، تُحيل الفرد إلى آلة. غير أنّا إذا أضفنا إلى ذلك تنمية ضميره وتربيته روحياً وخُلُقياً ورياضياً فإننا نصنع منه إنساناً قادراً على الوفاء برسالته نحو الله، ونحو الإنسانية، ونحو الوطن، ونمكّنه من التعامل مع المجتمع بحكمة وكفاءة[1].

ثالثاً ـ الرعاية الشاملة للباحثين والمدربين

تُعد الرعاية الشاملة للباحثين بكافة أنواعها وأبعادها الاجتماعية والصحية والرياضية والثقافية والترفيهية، عاملاً أساسياً ومهماً في إعداد المتعلم، وفي بناء جسمه، وتكوين شخصيته، وتهذيب سلوكه وصقل مواهبه، ولتوفير ذلك بصورة أفضل تشترط بعض المؤسسات العلمية أن يقيم طلابها في مدن جامعية خاصّة، لتنشئهم التنشئة المتكاملة التي ترغب فيها.

هذا إلى أن إعداد العناصر الخيّرة من الباحثين

---

(١) دكتور/ محمد حمدي النشار: الإدارة الجامعية التطوير والتوقعات، ص ١٥ ـ ١٦.

يتطلب بالضرورة توفير أسباب الرعاية باختلاف أنواعها لهم. فالباحثون مهما بلغت مقدرتهم، في حاجة ماسة إلى توفير الاستقرار السكني، والمعيشي، وغيره لهم، ليتمكّنوا بذلك من الانصراف للمهام العلمية الملقاة على عاتقهم، إذ العقل السليم في الجسم السليم، وسلامة الجسم تتطلب توفير الصحة الوقائية[1] والعلاجية[2] بمختلف أنواعها، كما تتطلب الإكثار والتنويع في النشاطات الرياضية، مثل السباحة والرماية وركوب الخيل وألعاب القوى ونوادي الفتوة التي ابتدعها المتصوفة، وأوكلوا لها خدمة المجتمع، وتنمية المواهب الفكرية والخلقية والعضلية والروحية.

أضف إلى ذلك الاهتمام بالنشاط الترويحي فإن العقول إذا كلّت ملّت على أن لا يتضمن هذا النشاط وسابقه شيئاً مما حرمه الله، أو كرهته الشريعة الإسلامية أو تعارض مع مصالح الأمة.

هذا وبما أن الباحث أو المدرب إنسانٌ، فيجب أن توفر الدولة له كل مقوِّمات الإنسانية فتربّي شخصيته، وتحفظ عليه كرامته، وتساعده في حل مشاكله وتُعينه على

---

(١) راجع الصحة الوقائية في الإسلام للدكتور حسن الفاتح.
(٢) راجع البراهين الشرعية والعقلية في إثبات الطب القرآني والنبوي للدكتور حسن الفاتح، طبع دار الجيل ببيروت.

أداء عباداته ورياضاته الروحية التي يتأسّى فيها برسول الله ﷺ، كما تُعينه كذلك على اختيار العمل المناسب وتتعاون معه على توفير المناخ الملائم لتربية أفراد أسرته وذويه، وتُولي عناية خاصة للإثابة المالية التي تمنحها له.

واقْترح في هذا المجال أن يُستبدل النظام الحالي المعمول به في تحديد المرتبات لبعض البلاد بالنظام المثالي الذي تُطبقه بلاد أخرى...

ويقوم النظام المقترح على تحرير البحوث من الأسر المادي الذي وضعت فيه، فالبحث الأكاديمي، والتدريب الفني، أسمى وأدفع من أن يدفع إليه الباحث دون رغبة أو أهلية ليُصْبح بذلك بحثاً تجارياً، يبغي صاحبه من ورائه الترقية أو المرتب العالي.

على الدولة أنْ تعمل على فك الارتباط بين النظامين العلمي والمالي، فيترقى جميع العاملين، أساتذة وإداريين، وغيرهم في سلَّم المرتبات، حتى يصلوا نهاية مرتب الأستاذ، على أنَّ مَنْ أراد اللقب الأكاديمي فعليه أن يُعِدّ نفسه له علمياً.

وفي ظل هذا النظام المقترح يمكن لمن حصل مالياً حالياً على درجة أستاذ (برفسور) أن يقدّم للترقية العلمية لدرجة أستاذ مشارك على أنه لا بأس أن يفرق بينه وبين غيره بالتزام الدولة له بطبع بحثه ومكافأته عَلَيْه.

رابعاً ـ الميدان الإداري

العمل في مؤسسات التعليم العالي يتشعب إلى ثلاثة فروع:

أولاً: أكاديمي ويتولى مسؤوليته الجهاز الأكاديمي وحده حيث يمارس بعض الأعمال الإدارية بجانب الأعمال العلمية.

ثانياً: إداري ويقوم به الأكاديميون والإداريون على السواء.

ثالثاً: فنّي ويقوم به الفنيون تحت إشراف الأجهزة الأكاديمية.

هذا ويتميز الجهاز الأكاديمي بأن خطوط السلطة فيه تسير في اتجاهين مختلفين أولهما أُفقي، وثانيهما رأسي. على أنّ الخطوط الأفقية بارزة وتغطي بألوانها الداكنة على غيرها من الخطوط في لوحة الخريطة التنظيمية للعمل بالجامعة، وذلك انطلاقاً من مبدأ القيادة الجماعية الذي تدين به كل الجامعات.

فعميد الكلية أو رئيس القسم، أو الشعبة، أو الوحدة، أو رئيس المركز العلمي، يقف على نفس خط السلطة مع باقي الرؤساء الآخرين، علماً بأن كلًّا منهم لا يتدخل في الشؤون العلمية الخاصة بغيره إلّا في حدود

التنسيق، أو إبداء الرأي عبر المجالس العلمية التي تضمه مع غيره من المسؤولين مثل مجلس الكلية، أو مجلس الأساتذة، أو مجلس الجامعة. أضف إلى ما تقدم أن لرئيس القسم أو الشعبة أو المركز ولايتين:

إحداهما إدارية ومجال عمله فيها قاصر على العاملين معه من أعضاء هيئة التدريس ومساعديهم، والموظفين والإداريين والعمال.

ثانيهما علمية فنية، إذْ هو بحكم وضعه العلمي صاحب مدرسة أكاديمية يتولى بها الإشراف على الأساتذة المشاركين، والمحاضرين، ومساعدي التدريس، والمعيدين. فهو بالنسبة لهم جميعاً يقف على قمة الهرم المعنوي للسلطة في الهيكل التنظيمي للعمل. ومن المعلوم أن العمل الإداري بمؤسسات التعليم يغطِّي رقعة واسعة من العمليات والإنجازات التي تذخر بألوان النشاط المختلفة، وتمتد هذه العمليات والإنجازات على أفق واسع ورحب، يبدأ من أعمال الإدارة العليا، وينتهي بالعمليات التنفيذية الصغيرة بمواقع العمل بالجامعة. علماً بأن هذه الأعمال تشمل فيما تشمل الوظائف الإدارية كلها من تخطيط، وتنظيم وتوجيه وإرشاد، ومتابعة ومراقبة وتقييم وشؤون مالية وحسابية وقانونية وكتابية واجتماعية ورياضية وثقافية، إلى

جانب تنظيم المكتبات والشراء والبيع والتخزين وغيرها مما هو معروف.

والعمل الإداري المذكور أغلبه عقلي وذهني ولا يحتاج إلى تخصصات دقيقة عالية كما هو الحال بالنسبة للعمل الأكاديمي، على أنه بالرغم من ذلك يشكل أهمية كبيرة فهو يهيّئ البيئة الصالحة والمناخ الملائم للأعمال الأكاديمية والفنية.

ويتوقف نجاح العمل في مؤسسات التعليم على التعاون الوثيق بين مختلف الأجهزة الأكاديمية والإدارية والفنيّة، وعلى قوة العلاقات الإنسانية السليمة بين العاملين والمحافظة المستمرة عليها، وتنميتها وذلك عبر:

١ ـ تفهُّم كل مجموعة لطبيعة عمل الأخرى، ومساعدتها في إنجازه بالصورة المثلى التي ينشدها كل فريق.

٢ ـ العدالة في المرتبات والامتيازات وفق التصور الذي ذكرته سابقاً.

٣ ـ الشّورى التي يحترم فيها رأي كل فريق، ويستأنس به، عند اتخاذ القرار إذ الفردية أو التكتل المهني هو من أسوأ مظاهر العلاقات الإنسانية.

٤ ـ المعاملة الحسنة الخالية من مظاهر التحكّم

والتسلط والأنانية والتميز بين المجموعات العاملة في ذات الحقل.

٥ ـ الاحترام المتبادل بين أفراد كل مجموعة على حدة، وبينها وبين أفراد المجموعة الأخرى كذلك بحيث لا يتعالى أحد منهم على الآخر.

ومن مهام الإداري الناجح التخطيط السليم، ورسم البرامج التي تكفل تحقيق رسالة مؤسسات التعليم بكفاءة تمكّن المسؤولين من تجسيد معنى الخلافة الإلهية التي أرادها الله تعالى للإنسان. هذا وبالتخطيط يتم ترشيد استخدام الموارد المتاحة بفعالية أكبر يكون من نتائجها تنفيذ الأهداف المنشودة بخطى سريعة ومحكمة.

ويهدف التخطيط فيما يهدف إليه إلى تحديد حجم التعليم العالي ونوعياته ومستوياته، وتوزيعه الجغرافي، وهياكله التنظيمية، ووسائل تطوير البحوث العلمية، والتدريب العملي والعمل الخلّاق لبناء الأجيال الصاعدة.

ويتميز التخطيط العام للتعليم العالي بأنه يرتبط بالمستوى الحضاري للمجتمع ويحدّد الأولويات ويعالج النتاج الفكري للطلائع المثقفة، ويوازن بين هجرة العقول وتوفير البديل، بل إنه ليتعلق أحياناً بعوامل يصعب التنبؤ بها؛ وأيا كان الأمر فإن أسلوب التخطيط ومناهجه ووسائله

وأبعاده ـ لتختلف من دولة إلى أخرى، ومن مجتمع إلى آخر.

أخلص من كل، تقدم بأن على مؤسسات التعليم العالي أن تخلق من التعاون الأكاديمي الفني الإداري قاعدةً تنطلق بها إلى رحاب أوسع في ضوء تعاليم القرآن الكريم، وهدى السنة النبوية المطهرة، والسيرة العلمية للسلف الصالح من الأمة الإسلامية، أولئك الذين فهموا الدين منهجاً للحياة، وأسلوباً للعمل، فكيفوا عليه تصوُّرهم للعلم، والمعرفة والبحث، والتدريب.

الفهرس

الفاتحة ٥

الباب الأول: مفهوم الدرسات الإسلامية

المفهوم الحقيقي للدراسات الإسلامية ٩

المفهوم العرفي للدراسات الإسلامية ١٣

التحديد العرفي للمواد الإسلامية ١٤

مفهوم التدريب ١٥

مفهوم البحث ١٧

تصنيف العلوم السابقة من حيث التدريب ٢٠

الباب الثاني: دور مؤسسات

التعليم العالي في التدريب والبحوث

مدخل ٢٥

الميدان العلمي ٢٦

الميدان الروحي ٥٥

الرعاية الشاملة ٦١

الميدان الإداري ٦٤

مؤلفات الدكتور حسن الشيخ الفاتح
الشيخ قريب الله

جرير مدينة الشعر
الحرب الأهلية في صدر الإسلام
الحريات الأساسية للمواطنين في ظل
التشريع الإسلامي
الحياة الفكرية في ضوء الفلسفة الإسلامية
الدعوة إلى الإسلام
دور مؤسسات التعليم العالي
السبحة: مشروعيتها وأدلتها
الصراع الفكري حول الفلسفة
في الزهد والتصرف
في الزهد والتصوف
زهديات أبي العتاهية
في ميدان التربية والفكر
البراهين الشرعية والعقلية

دور الشباب في تعزيز المرتكزات الدينية
السلام العالمي
السودان: مفهومه ـ حدوده.
المنطق الصوري.
كبرى الفرق الفكرية والسياسية في الإسلام
المفهوم الإسلامي للتربية

تحت الطبع:

اسم الله الأعظم
التبرك بالصالحين وآثارهم
التوسل بالأنبياء والصالحين
المختارات أو القطوف الدانيات
Influence of al-ghazali